20 - السيدة أم عَمَارة

نسبها، وشهودها العقبة الثانية

اسمها نُسيبة، والدها كعب بن عمرو بن عوف، من بني مازن بن النجار، والدتها الرباب بنت عبد الله، تزوَّجت في الجاهلية زيد بن عاصم فولدت له عبد الله وحبيباً، فكانا من أصحاب رسول الله ﷺ، ولما مات زوجها خلفه عليها غزية بن عمرو فأنجبت له تميماً وخولة.

كانت نُسيبة من السابقين الأوائل إلى الإسلام، فقد أسلمت على يد مصعب بن عمير ونذرت نفسها هي وزوجها غزية وولداها عبد الله وحبيب ابنا زيد لرفع راية الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وجادوا بالكثير من دمائهم في سبيل هذا الهدف النبيل.

ولم يكن خروج أم عَمَارة إلى ساحات القتال ضد المشركين من أجل سقي العطاش وتضميد الجراح، بل من أجل إرواء سيفها من دماء الكفار، والذود عن رسول الله ﷺ ضد الأخطار، والعود بأكاليل الغار، بعد تحقيق الانتصار، فبوركت من شُجاعة وقّفت نفسها لتحمي الذمار!!.

وحين خرج مصعب بن عُمَيْر من المدينة في موسم الحج لموعده مع رسول الله ﷺ في العقبة أوسط أيام التشريق، كان يصحبه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من مؤمني الأنصار.

وكانت المرأتان هما: أم عَمَارة نُسيبة بنت كعب المازنية، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي.

روى الإمام أحمد حديث العقبة عن كعب بن مالك بكل ما جرى ليلتها من تفصيل فقال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ:

فَحَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ الْقَيْنِ أَخُو بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّ أَخَاهُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الأَنْصَارِ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِهَا قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقِهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا.

فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ الْبَرَاءُ لَنَا: يَا هَؤُلاءِ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللهِ رَأْياً وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَدْرِي تُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لا قَالَ: قُلْنَا لَهُ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَ: قَدْ رَأَيْتُ أَنْ لا أَدَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ - يَعْنِي: الْكَعْبَةَ - وَأَنْ أُصَلِّيَ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقُلْنَا: وَاللهِ، مَا بَلَغَنَا أَنَّ نَبِيَّنَا يُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُصَلِّي إِلَيْهَا قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: لَكِنَّا لا نَفْعَلُ، فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ صَلَّيْنَا إِلَى الشَّامِ وَصَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ.

قَالَ أَخِي: وَقَدْ كُنَّا عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الإِقَامَةَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْأَلْهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا، فَإِنَّهُ وَاللهِ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ.

قَالَ: فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُنَّا لا نَعْرِفُهُ ولَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَقِيَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟ قَالَ: قُلْنَا: لا، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ.

قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ جَالِسٌ فَسَلَّمْنَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «**هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ؟**» قَالَ: نَعَمْ، هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ، وَهَذَا

كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «الشَّاعِرُ؟»، قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنِّي خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا وَهَدَانِي اللهُ لِلإِسْلامِ فَرَأَيْتُ أَنْ لا أَجْعَلَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ مِنِّي بِظَهْرٍ، فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لَقَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا».

قَالَ: فَرَجَعَ الْبَرَاءُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ، قَالَ: وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ وَلَيْسَ ذَلِكَ كَمَا قَالُوا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.

قَالَ وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا.

فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ معنا، فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا.

قَالَ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلاً وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نَسِيبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ

عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إِلا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ، وَيَتَوَثَّقُ لَهُ.

فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ – قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا – إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ.

قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَلا وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الإِسْلامِ قَالَ: **«أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»**.

قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالاً وَإِنَّا قَاطِعُوهَا – يَعْنِي: الْعُهُودَ – فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا؟.

قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: **«بَلْ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ»**.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ: **«أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ»**، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلاثَةٌ مِنَ الأَوْسِ.

وَأَمَّا مَعْبَدُ بْنُ كَعْبٍ فَحَدَّثَنِي فِي حَدِيثِهِ عَنْ أَخِيهِ عَنْ أَبِيهِ كَعْبِ بْنِ

مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ.

فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ[1] هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَا وَاللهِ لأُفْرُغَنَّ لَكَ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ارْفَعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ**» قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَئِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ**» قَالَ: فَرَجَعْنَا فَنِمْنَا، حَتَّى أَصْبَحْنَا.

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا غَدَتْ عَلَيْنَا جُلَّةُ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَاؤُونَا فِي مَنَازِلِنَا، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ، قَالَ: فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْنَاهُ، وَقَدْ صَدَقُوا لَمْ يَعْلَمُوا مَا كَانَ مِنَّا، قَالَ: فَبَعْضُنَا يَنْظُرُ إِلَى بَعْضٍ.

قَالَ: وَقَامَ الْقَوْمُ وَفِيهِمُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ وَعَلَيْهِ نَعْلانِ جَدِيدَانِ، قَالَ: فَقُلْتُ كَلِمَةً كَأَنِّي أُرِيدُ أَنْ أُشْرِكَ الْقَوْمَ بِهَا فِيمَا قَالُوا: مَا تَسْتَطِيعُ يَا أَبَا جَابِرٍ، وَأَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا أَنْ تَتَّخِذَ نَعْلَيْنِ مِثْلَ نَعْلَيْ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ فَسَمِعَهَا الْحَارِثُ فَخَلَعَهُمَا ثُمَّ رَمَى بِهِمَا إِلَيَّ، فَقَالَ: وَاللهِ

(1) الْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ.

لَتَتْبَعِلَنَّهُمَا، قَالَ: يَقُولُ أَبُو جَابِرٍ: أَحْفَظْتَ وَاللهِ الْفَتَى فَارْدُدْ عَلَيْهِ نَعْلَيْهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللهِ، لا أَرُدَّهُمَا، قَالَ: وَاللهِ صُلْحٌ، وَاللهِ لَئِنْ صَدَقَ الْفَأْلُ لأَسْلُبَنَّهُ، فَهَذَا حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ الْعَقَبَةِ وَمَا حَضَرَ مِنْهَا[1].

وكانت أم عمارة أول امرأة من نساء المدينة تبايع رسول الله ﷺ، وتلتها أم منيع.

وكان غزية بن عمرو زوج أم عمارة بعد أن فرغ الرجال جميعهم من مبايعتهم قد قال: يا رسول الله، هاتان امرأتان حضرتا معنا، لتبايعا، فقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ بَايَعْتُهُمَا عَلَى مَا بَايَعْتُكُمْ عَلَيْهِ، إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ**».

وعاد وفد الأنصار بنقبائهم من العقبة إلى المدينة فرحين بلقاء رسول الله ﷺ، وأخذ كُلٌّ منهم يؤدِّي دوره في نشر الإسلام منتظرين قدوم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً.

بطولتها يوم أحد

وبدأت أم عمارة رضي الله عنها مسيرتها مع الجهاد يوم أُحُد، وها هي ذي أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما تحدِّثنا عن ذلك اليوم، قالت أم سعد: دخلت على أم عمارة، فقلت لها: حدِّثيني خبرك يوم أُحد، فقالت أم عمارة رضي الله عنها: خرجت أول النهار إلى أُحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سِقاءٌ فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح إلى المسلمين[2]، فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القتال، وأَذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خلصت إليَّ الجراح!.

قالت أم سعد: فرأيت على عاتقها جرحاً له غورٌ أجوف، فقلت: يا أم

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: مسند المكيين/ باب: حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه/ برقم: (15237).

(2) الدولة والريح إلى المسلمين: أي النصر والغلبة للمسلمين.

عمارة، من أصابك هذا؟ قالت أم عمارة ﵂ : أقبل ابن قميئة، وقد ولَّى الناس عن رسول الله ﷺ، وابن قميئة يصيح: دلُّوني على محمد، لا نجوت إن نجا. . . فاعترض له مصعب بن عُمَيْر وناسٌ معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان.

وروى ضمرة بن سعيد المازني عن جدته، قال: وكانت شهدت أُحداً تسقي الماء، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ**»، وكانت جدة ضمرة هند تراها يومئذٍ تقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزةٌ ثوبها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحاً، ولقد ضربها ابن قميئة على عاتقها، فجرحها جرحاً عظيماً مؤثِّراً، ظلت تداويه سنة كاملة.

ولما نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد شدَّت عليها ثيابها كي تخرج إلى غزوة حمراء الأسد تشارك رسول الله ﷺ، فما استطاعت من شدَّة نزف الدم منها.

وتتابع أم عمارة رواية ذكرياتها عن يوم أُحدٍ، فتقول: انكشف الناس عن رسول الله ﷺ فما بقي معه إلاَّ بعض الرجال، لا يتمُّون عشرة، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه ندافع عنه، ونمنع عنه، والناس يمرون به منهزمين.

ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه ترس، فقال النبي ﷺ له: «**أَلْقِ تِرْسَكَ إِلَى مَنْ يُقَاتِلُ**»، فألقاه، فأخذته فجعلت أُدافع به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجَّالةً مثلنا لأصبناهم، إن شاء الله، ويقبل رجلٌ على فرسٍ فيضربني، وترَّست له[1]، فلم يصنع شيئاً، وولَّى، فأضرب عرقوب فرسه، فوقع عن ظهره، فجعل النبي ﷺ يصيح: «**يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ، يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ، أَمَّكَ، أُمَّكَ**»، قالت: فعاونني عليه، حتى أرديته قتيلاً.

---

(1) تَرَّست له: أي قابلت الضربة بالتُّرس.

وقال عبد الله بن زيد ابن أم عمارة: جُرحت يومئذٍ في عضدي اليسرى، ضربني رجلٌ، كأنه الرَّقْلُ[1]، ولم يُعرِّج عليَّ، ومضى عني، وجعل الدم لا يرقأ، فقال رسول الله ﷺ: «**اِعْصِبْ جُرْحَكَ**»، فتقبل أمي إليَّ ومعها عصائب في حَقْوَيْهَا[2]، قد أعدَّتها للجراح، فربطت جرحي والنبي ﷺ واقفٌ ينظر إليَّ، ثم قالت: اِمْضِ بنيَّ، فضاربِ القومَ، فجعل النبي ﷺ يقول: «**وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عَمَارَةَ؟**» وهي تضحك.

قالت أم عمارة: وأقبل الرجل الذي ضرب ابني يشتدُّ نحونا، فقال رسول الله ﷺ: «**هَذَا ضَارِبُ ابْنِكَ**»، فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك، فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم حتى رأيت نواجذه، وقال: «**اِسْتَقَدْتِ يَا أُمَّ عَمَارَةَ**»، ثم أقبلنا نعلوه بالسلاح حتى أتينا عليه فأخمدنا أنفاسه، فقال النبي ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْفَرَكِ، وَأَقَرَّ عَيْنَكَ مِنْ عَدُوِّكِ، وَأَرَاكِ ثَأْرَكِ بِعَيْنِكِ**».

وقال عبد الله بن زيد: شهدتُ أُحداً مع رسول الله ﷺ، فلما تفرَّق الناس عنه، دنوت منه أنا وأمي نذبُّ عنه، فقال ﷺ: «**يَا ابْنَ أُمِّ عَمَارَةَ**» قلت: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: «**اِرْمِ، أُمَّكَ، أُمَّكَ اِعْصِبْ جُرْحَهَا، بَارَكَ اللهُ عَلَيْكُمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ**»، فقالت أمي: يا رسول الله، أُدعُ الله لنا أن نرافقك في الجنة فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ، اِجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الجَنَّةِ**»، فقالت: ما أبالي بعدها ما أصابني من الدنيا.

هنيئاً لك يا أم عمارة تلك الدعوات الطيبات المباركات، التي حُبِيْتِ بها من رسول الله ﷺ!! وهنيئاً لك تلك البشريات الثمينة!! وأي شيءٍ أثمن من مرافقته في الجنة؟.

---

(1) الرَّقْلُ: جمع الرَّقْلَة، وهي النخلة الطويلة.

(2) الحَقْو: الخصر.

متابعة جهادها بإخلاص

وكان أدهى ما دُهيت به أم عمارة يوم انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وما من شكٍّ أن غيابه ﷺ أعظم مصابٍ نزل بالمسلمين، غير أن جهاد أم عمارة بقي مستمرّاً ما دامت الأنفاس تتردَّد في صدرها.

فلما ارتدَّ بعض المسلمين في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وامتنعوا من أداء الزكاة، عزم الصِّدِّيق على قتالهم وقطع دابرهم، وأخذ يجهِّز الجيوش، وكان أهمها الجيش الكبير الذي قاده خالد بن الوليد رضي الله عنه لمحاربة كذَّاب اليمامة مسيلمة.

وأسرعت أم عمارة إلى الصِّدِّيق رضي الله عنه تستأذنه في الخروج مع ابن الوليد، فقال لها: لقد عرفنا بلاءك في الحرب يا أم عمارة، فاخرجي على اسم الله، وكان ولداها عبد الله وحبيب ابنا زيد برفقتها عندما تحرَّك الجيش.

وكانت معركة اليمامة من أشد معارك المسلمين ضراوة، وقد حشد لها مسيلمة الكذَّاب أضخم الحشود، وسوَّلت له أوهامه القضاء على رسالة الإسلام، وإحلال رسالته المزعومة محلها، ولكن خسئ المفتر وخاب، وأخفق كل كاذب ومرتاب.

لقد أراد مسيلمة أن ينقض البنيان الشامخ الذي أرسى أبو القاسم ﷺ دعائمه، وظنَّ أن ذلك هينٌ ميسورٌ، فغفل عن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

أي مسيلمة! أيها الكذَّاب الأشر!! من أنت حتى تأتي بغير ما أراده الله وارتضاه، وهو الفعَّال لما يريد؟ وأين هذا الهذيان الذي نطقت به من القرآن المنزَّل من لَدُنْ حكيم حميدٍ؟ لقد بالغت في جرأتك، وأسرفت في ادِّعائك ووقاحتك، حتى بتَّ أهلاً للعذاب الشديد.

مربية الأجيال الصادقة

وخلال المعركة أسر جند مسيلمة ابن أم عمارة حبيباً، ولما جاؤوا به إلى مسيلمة قال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيبٌ: نعم، فقال له

مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال حبيب: ما أسمع ما تقول!، فقال له مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيبٌ: نعم، فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ قال حبيب: ما أسمع ما تقول!.

فلما أعادها عليه عدة مرات ولم يغيِّر حبيب جوابه له أمر مسيلمة جلاَّده أن يقطع أجزاء من لحم حبيب حتى يغيِّر قوله، وأصبح أكثر من نصف جسد حبيب مِزَقاً فوق الأرض دون أن يعطي مسيلمة ما يريد، ثم فارق الحياة – رحمه الله تعالى – وقد رثاه مالك بن عمرٍو الثقفيُّ، وأجاد حيث قال:

مَضَى صَاحِبِي قَبْلِي وَخُلِّفْتُ بَعْدَهُ ... فَكَيْفَ بِأَعْضَائِي البَقِيَّةِ أَصْنَعُ؟
وَقَالَ لَهُ الكَذَّابُ: تَشْهَدُ أَنَّنِي ... رَسُولٌ؟ فَأَوْمَا أَنَّنِي لَسْتُ أَسْمَعُ
فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّهَا لِمُحَمَّدٍ؟ ... فَنَادَى بِدَعْوَى الحَقِّ لاَ يَتَتَعْتَعُ
فَضَرَّبَ أُمَّ الرَّأْسِ فِيْهِ بَسَيْفِهِ ... غَوِيٌّ لَحَاهُ اللهُ بِالفَتْكِ مُوْلَعُ

ولدها يقتل الكذاب

ولكن هل يضيع دم حبيب هدراً، كلاَّ، لأن الله الحَكَمَ العَدْلَ لا يرضى بذلك، كان كل من شهد اليمامة يتمنَّى أن يفوز برأس مسيلمة، ولكن أراد الله أن يكون الفائز أخا حبيب.

وكان وحشيُّ بن حربٍ يريد أن يقتل مسيلمة تكفيراً عن قتله حمزة بن عبد المطلِّب يوم أُحُدٍ، وفي اللحظة التي سدَّد فيها حربته إلى مسيلمة، وعند وصولها إلى جسده النجس كان سيف عبد الله بن زيد قد اخترق جسد الكذَّاب، ولا يعلم غير الله من قتل مسيلمة.

وحين أعلم عبد الله أمه بمقتل الكذَّاب، سجدت لله شاكرة، وقد أصابها اثنا عشر جرحاً، وبقي لها ذراع يتيمة.

لقد استطاع الصِّدِّيق ﷺ بوفائه لربه ولرسول الله ﷺ وللمؤمنين أن يدفن فتنة المرتدين وأهلها، ويعيد للإسلام نضارته التي كان عليها إبَّان حياة

الحبيب الأعظم ﷺ، فجزاه الله عن الإسلام كل خير، وبلَّغه ما هو أهله، وجعل الجنة مستقره.

ولم ينس الصِّدِّيق تلك المؤمنة المجاهدة، فكان يعودها هو وخالد بن الوليد في دارها حتى شفيت.

وفاء الصحابة لجهادها

وحين جاءت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مروطٌ، كان فيها مِرْطٌ واسع جيد، فقيل له: «لو أرسلته إلى امرأة عبد الله بن عمر! فقال: أبعث به إلى من هي أحقُّ منها، أم عمارة نُسيبة بنت كعب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أُحُد: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِيناً وَلا شِمَالاً إِلاَّ وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُوْنِي**».

لقد كانت أم عمارة مثال المؤمنة المجاهدة الصادقة في أقوالها وأفعالها، وكانت قدوة في صبرها وجهادها واحتمالها الأذى والآلام في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وربَّت أبناءها على حب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ، حتى لقوا الله وهو عنهم راضٍ إن شاء الله تعالى.

رحم الله أم عمارة، وزوجها غزية بن عمرو، وولديها عبد الله، وحبيب رضي الله عنهم، فقد أدَّوا رسالتهم في الحياة خير أداء، فجزاهم الله أوفى الجزاء، ورضي عنهم أجمعين.